الفصل الثانى

الغرب والشرق.. صراع وتعاون

ويتضمن:

تمهيد.

أولاً: العلاقة بين الغرب والشرق والأوهام الغربية.

1- قيام الحضارة الغربية على الأصول الشرقية.

2- الوهم الغربى الكبير.

3- عنصرية الغرب.

ثانياً: أثر الإسلام على أوروبا.

ثالثاً: نقد الحضارة الغربية.

«إن الأمـم الشرقيـة والغربيـة جميعها دائنـة ومدانة فى تراث الحضارة الإنسـانية، وأنه ما مـن أمة لها تاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من ذلك التراث»[1].

❐❐❐

«والحقيقـة التـى لا مراء فيها أن ما فعلـه الغربيون قديماً أنهم أخذوا المنجـزات العلمية والفكرية القديمـة من الحضارات الشرقية السابقة على اليونان، وأضافوا عليها وخلّصوها مما علق بها من شمولية وحس دينى صوفى ليجعلوها أكثر تجريداً، وهذا شـأن أى حضـارة تتأثر وتضيف عليها مـن روحها أى جديد، لقـد أخـذ اليونانيـون كل ما أبدعـه الشرقيـون فى حضارات الشرق الكبرى من علوم غلب عليها الطابع العملى، وطوروها وبدأوا بتسـجيلها فى مؤلفاتهم فنُسـب العلم والفلسـفة إليهم كأنهـم صانعوهـا من عـدم، وليس أبعد عـن الحقيقة من ذلك الوهم الكبير الذى لا يزالون يخدعوننا به، أنهم هم أصل العلم والفلسفة! بينما الواقع أنهم نقلوهما من الشرق القديم وخاصة من مصر وبابل والهند القديمة»[2].

(1) عباس العقاد، أثر العرب فى الحضارة الأوروبية، نهضة مصر للنشر، القاهرة، ط4، 2008م، صـ134

(2) د. مصطفى النشار، الأورجانون العربى للمستقبل، المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة 2014م ص141.

«نعـم إن الغرب ما زال فى حاجة إلى الشرق، وكان الشرق دائماً مبعـث النور والهدى والدين والإيمـان واليقين للغرب، وذلك بشـهادة كبار علماء الغرب ومصلحيه، وما نظن إلا أن الشرق سـيؤدى هذه الرسـالة مرة أخـرى فعليه أن ينشر رسـالته بين العالم أجمع، وأن يجاهد فى سـبيل ذلك كما جاهد مراراً خلال تاريخه الطويل العريض سيما وأن العالم اليوم يقف فى مفترق الطـرق بين المادية والروحية وبين الإيمان والشـك وبين متين الخلق والإسـتهتار، وبـين القيم الأدبية وبريـق الثروة المادية حتـى كاد الباطل أن يتحيف الحـق وهذا لن يكون، وقد نسى النـاس أن الحق فى كل زمان ومكان يدفع الباطل ويزهقه وأن الباطـل كان زهوقاً، ونسـوا أن الله أوجد الحـق وأوجد القوة لتؤيـده وقد جعل أبنـاء العصر فى الغرب الأمـر بالعكس أى جعلوا الحق للقوة»[1].

(1) السيد أبو الفيض المنوفى، نقد الحضارة المعاصرة، دار نهضة مصر، القاهرة، سنة 1981م، ص61.

الفصل الثانى

الغرب والشرق.. صراع وتعاون

تمهيد

قد يبدو عنوان هذا الفصل غريباً بعض الشيء من ناحيتين، الأولى أن المعلوم للجميع، حتى عند مصطفى النشار - حيث كونه المعنى بالدراسة بالمقام الأول - أن العلاقة صراع لا تعاون فيه، وأن الغرب يريد الإغتذاء على دماء الشرق لا أكثر، فكثيراً ما استعمر الغرب للشرق، وكثيراً ما نهب خيراته واستعبد شعوبه واكتنز ثروات على حساب هذه الشعوب المغلوبة على أمرها، ولكن هذا المعنى وإن كان صحيحاً فى وجه فقد أخطأ فى آخر، حيث أن الغرب فعلاً كثيراً ما نمى لحمه على حساب الشرق، ولكن الشرق لم يبادل الغرب صراعاً بصراع، ولم يبادله قتلاً بقتل أو عنفاً بعنف، وإنما كان رحيماً لأقصى درجات الرحمة مع هذا الغرب المستبد، ففى حين خرج فلاسفة الغرب منذ القدم يبيحون للأوروبى استرقاق واستعباد غيره من الشعوب الأخرى، وسموا تلك الشعوب بـ«البرابرة»، خرجت أصوات فلاسفة الشرق تنادى بالسلام والمحبة، عالم واحد وإله واحد وعدالة بين الجميع.... ذاك باختصار هو الفارق الجوهرى بين الشرق والغرب، ولو كانت هناك محاكم

دوليـة ديموقراطيـة وعادلة ولو جزئياً لفرضت عـلى الغرب تعويضات كبيرة لأخيـه الشرق، لأنه كثيراً ما اسـتعبد الشرق دون أن يقابله الشرق الإسـاءة بمثلها، بل كان العفو سـمته، والصفح شيمته، فكان صراعاً أحادى الطرف، صراعاً يمثله الغرب، وتعاوناً يمثله الشرق.

أمـا الناحية الثانية فأعنى بهـا ذاك التكامل بين كافة الحضارات، فالشرق وإن كان قـد سـطع نـوره على الغـرب بحضارته الضاربـة جذورها فى كبد التاريخ، فإن الشرق قد استفاد أحياناً أخرى من هذا الغرب، نعم، قد يكون الـشرق أنعم على الغرب بحضـارة ومدنية معاً، ولكن الغـرب لم يتفضل على الـشرق سـوى بمدنية خواء من كل حضـارة، مدنية الآلة الصـماء التى أدت إلى ذوبان يشـعره الشرق تجـاه الغرب فيما يقول قرنى: «والواقع أن السـبب المباشر للذوبان فى الغرب هو تصور أنه لا قوة لنا إلا على طريقة المسيطر فى هذه الأيام، وهو الحضارة الغربية، ويترتب على هذا أن نأخذ لا مجرد أدواتها من مصانع وسلاح ووسائل، بل كذلك وبالضرورة أفكارها وقيمها وهذا هو المحال، لأنه لا يمكن لثقافة أن تحاكى ثقافة أخرى إلا بأن تموت»[1].

ثم يؤكد قرنى على أن انفلاتنا عن تبعية الغرب هو خير لنا، وخير للغرب ذاته وخير لبنى الإنسان، والأساس الوحيد لإقامة الإنسانية الحقة[2].

كل هـذا يبدو صحيحاً إلى حد كبير، لكن لابد من الاعتراف أيضاً بتأثر الشرق بالغرب فيما يقول العقاد: «الأصالة قدر مشـترك بين جميع الحضارات فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سـمة تميزها بين الحضارات العالمية،

(1) د. عزت قرنى، المرجع السابق، ص59.
(2) نفس المرجع، ص75.

ولم توجد قط حضارة تفردت بالإبداع أو تفردت بالنقل أو خلت من السمة التى تميزها بين سمات الحضارة»[1].

تلك حقيقة لا يمكن إنكارها، ولم ينكرها النشار فى ثنايا حديثه، ولكنه فقط ينكر على المتوجهين بكل ما أوتوا من قوة شطر الغرب، الحالمين بأن نقل المدنية الغربية والتقليد الأعمى للغرب هو الحل، وأن الغرب سيُلقى بسفينة النجاة للشرق.

ويفضح النشار كل تلك الدعاوى، صارخاً بأعلى صوته: «الغرب لا يتدخل إلا بثمن، ولا يأتى من ورائه نفع أبداً، والشرق صاحب أفضال لا تُعد ولا تحصى على الغرب، أيادى الشرق على الغرب بيضاء، أما أيادى الغرب على الشرق فسوداء ليس من ورائها شعاع نور واحد».

تلكم خلاصة رؤية النشار التى سنعرض لتفصيلاتها عبر هذا الفصل.

يبقى التساؤل إذن، ما العلاقة بين النهضة العربية وصراع الشرق والغرب؟

والإجابة من ناحيتين، الأولى أن البعض يتوهم أن النهضة لن تكون إلا باتباعنا سبيل الغرب وتولية وجوهنا شطره، والثانية أن الغرب هو الذى صنع كل الجرائم التى لا زلنا نعانى أثرها فى الشرق من تفرق وتشرذم وضعف ووهن وتقسيم وحدود وابتلاءات ما أنزل الله بها من سلطان، والوقوف على تلك العلاقة بين الغرب والشرق سيوضح كثيراً من عوائق النهضة العربية، وسيضع أيدينا على الأخطاء والمثالب، ويوجه أقدامنا نحو الطريق الصحيح، طريق النصر والعزة بإذن الله.

(1) عباس العقاد، أثر العرب فى الحضارة الأوربية، نهضة مصر للنشر، القاهرة، ط4، سنة 2008م، ص22.

أولاً: العلاقة بين الغرب والشرق والأوهام الغربية

يظن البعض أن الغرب ولى نعمة الشرق، وبدون الغرب فلا حياة للشرق، وهذا هو الزيف بعينه، وتلك الإفتراءات مغالطات تاريخية وحضارية كبرى، لابد من الوقوف عندها عبر ثلاث محاور رئيسه كالتالى:

1- قيام الحضارة الغربية على الأصول الشرقية:

أينما قلبت فى كتب التاريخ بأى لغة فى العالم، تجدها تثبت تقدماً حضارياً للعرب، وقد حملوا تقدمهم الحضارى معهم إلى المناطق التى فتحوها فى أوروبا، صقلية وجنوب ايطاليا وأسبانيا، وبمقارنة بسيطة بين العرب وغيرهم، تجد أن الصليبيين لم يحملوا معهم إلى وطننا غير الخراب والدمار والتعصب، ولم يكن لهم أى تأثير حضارى لأنه لم يكن لدى أوروبا حضارة متفوقة ينقلونها، فإن العرب رغم أنهم كانوا فاتحين، أو بمصطلح السياسة الحديث (محتلين)، إلا أنهم حملوا معهم كل مظاهر الحضارة العربية، وانتقلت منهم بشتى الوسائل إلى أوروبا، وكان لها أكبر الأثر فى انتقال أوروبا من مرحلة الهمجية إلى مرحلة التقدم بما فى ذلك الأخلاق والطبائع باعتراف الأوروبيين أنفسهم، يقول جوستاف لوبون: «تخلص المسيحيون الأوروبيون من همجيتهم بفضل اتصالهم بالعرب واقتباسهم منهم الطبائع النبيلة ومبادئ فروسيتهم التى منها مراعاة النساء والشيوخ والأولاد واحترام العهود والوفاء بالوعود»[1].

(1) نقلًا عن د. عودة بطرس عودة، الوحدة العربية هى الحل، المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، الأردن، ج2،سنة 1990م، ص97.

هـذه القيم شرقية بالأسـاس، لم يكن للغرب أدنى اعـتراف أو التزام بها، بـل أخذوها مـن العرب الفاتحين، كما أخـذوا عنهم السـلوكيات الأخلاقية والرحمة والتسامح، يقول د.عودة بطرس: «إن هذا الدور التاريخى الذى أداه العرب للحضارة الإنسـانية ارتبط بالتسـامح الذى اشتهروا به، وبالاستقرار الـذى توفر لهم، وكانـوا بذلك على نقيض الصليبيين الذيـن عُرفوا بالتعصب والحقد ولم ينعموا بالاستقرار، فلم يحملوا معهم إلى الوطن العربى غير القتل والخراب والدمار، ولم يتركوا وراءهم آثاراً يسـتحقون عليها كلمة مدح أو ثناء، فى حين أشـاد المؤرخـون الأوروبيون وما زالوا بأثـر الحضارة العربية على الحضارة الأوروبية، وبالدور الحضارى العربى الإنسانى بما خلفه العرب فى الأندلس، وقد أوجز لوبون قيمته الكبرى بقوله: «إنه لا يوجد فى أسـبانيا المعاصرة من أعمال الرى سوى ما أتمه العرب»[1].

لكنهم كعادتهم اسـتمرئوا الكذب، فصورا للإنسانية أنهم صانعوا الحضارة الإنسانية بأسرها من عدم، لم يأخذوا عن أحد، ولم يتأثروا بأحد، فى حين أنهم لم ينهضوا إلا حين ارتكزوا على قواعد شرقية، يقول النشـار: « والحقيقة التى لا مراء فيها أن ما فعله الغربيون قديماً أنهم أخذوا المنجزات العلمية والفكرية القديمة من الحضارات الشرقية السـابقة على اليونان، وأضافوا عليها وخلّصوها مما علق بها من شـمولية وحس دينى صوفى ليجعلوها أكثر تجريداً، وهذا شـأن أى حضـارة تتأثر وتضيف عليها من روحها أى جديد، لقد أخذ اليونانيون كل مـا أبدعه الشرقيون فى حضارات الشرق الكبرى مـن علوم غلب عليها الطابع العملى، وطوروها وبدأوا بتسـجيلها فى مؤلفاتهم فنُسـب العلم والفلسفة إليهم

(1) د. عودة بطرس عودة، المرجع السابق، ج2، ص102.

كأنهم صانعوها من عدم، وليس أبعد عن الحقيقة من ذلك الوهم الكبير الذى لا يزالون يخدعوننا به، أنهم هم أصل العلم والفلسفة! بينما الواقع أنهم نقلوهما من الشرق القديم وخاصة من مصر وبابل والهند القديمة»[1].

ويُصدق النشار الكثير من الكتابات التى أكدت الجذور الشرقية للحضارة اليونانية وتأثر الغرب بعلوم الشرق فى الطب والأدب والزراعة والصناعة وشتى المجالات الأخرى، يقول جيوم: «سوف نرى عندما تخرج إلى النور الكنوز المودعة فى دور الكتب الأوروبية أن تأثير العرب الخالد فى العصور الوسطى كان أجّل شأناً وأكبر خطراً مما عرفناه حتى اليوم»[2].

لقد شمل تأثير العرب على أوروبا عدة مجالات مثل الزراعة والصناعة، بل وامتد هذا التأثير ليشمل الأدب والموسيقى وكافة أنواع العلوم والفنون وتغلغل فى الحياة الأوروبية حتى بلغ اللغات، ففى اللغة المجرية عشرات المفردات من أصل عربى، وفى اللغة الإنجليزية ما يقرب من ألف كلمة مشتقة من أصل عربى منها حوالى مائتين وستين كلمة من الكلمات الشائعة كثيرة الاستخدام فى الحياة اليومية، وبلغ عدد الكلمات العربية المستخدمة فى اللغتين الإسبانية والبرتغالية أكثر من أى تصور، واللهجات الفرنسية خاصة فى الجنوب فى مقاطعتى Limousin- Auvergen مليئة بالكلمات العربية، كما أن أسماء الأعلام فيها ذات مسحة عربية واضحة[3].

(1) د. مصطفى النشار، الأورجانون العربى للمستقبل ص141، وكذلك مؤلفه الضخم «تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى» ج1، الفصل الأول بأكمله، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م.

(2) نقلًا عن د. سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1994م، ص498.

(3) لوبون، حضارة العرب، ص466 نقلًا عن الوحدة العربية، ج2، ص99.

أمـا فى الأدب فيقـول جـب Jieb : «إن خير مـا أسـدته الآداب العربية الإسـلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربى فى شعر العصور الوسـطى ونثرها، وأنه لولا قصص ألف ليلة وليلة لما عرف الأوروبيون قصة روبنـس كـروزو أو قصـة رحـلات جلفـر Gullivers travels، ويضيف المسـتشرق جورج يعقوب مردفاً: «إن قصة روبنسـن كروزو مأخوذة عن قصة حى بن يقظان التى كتبها فيلسـوف الأندلس ابن طفيل، والتى تُرجمت إلى اللاتينية عام 1671م و إلى الانجليزية عام 1708م»[1].

أمـا فى الطـب، ففى حين انصرف اهتـمام الأوروبيون عن الطب بسـبب الجهـل وتزمـت رجال الدين والاعتقـاد بأن المرض نوع مـن العقاب الإلهى لا يجوز للإنسـان أن يعالج منه، كان العرب قد برعـوا فى هذا الميدان وتجاوزوا كل ما أخذوه عن اليونان عندما ترجموا كتبهم، وأضافوا أبواباً جديدة فى الطب والصيدلـة، وبرز مـن العرب عباقرة فى الطب بـكل فروعه، وضعوا تجاربهم العلمية ونظرياتهم فى مؤلفات اعتمدت عليها أوروبا حتى القرن الثامن عشر فى دراسـة الطب فى جامعاتها، فكتابات ابن سينا (ت 1037م) فى الطب ظلت مرجعاً أساسياً للدراسات الطبية فى جامعات فرنسا، حتى القرن السابع عشر، وكانت هـذه الكتابات إلى جانب كتابات الرازى من المراجع الرئيسـية التى كان يُمتحن فيها الطالب إجبارياً للحصول على إجازة الطب[2].

أضـف إلى ذلك من تأثيرات شرقية على الحضـارة الغربية وصلت إلى حدّ الاستخدام اليومى للغة فيما يقول العقاد: «وعن هذه الأقوام العربية الأولى

(1) نقلًا عن د.. عودة بطرس، المرجع السابق، ج2، ص98.
(2) د. عودة بطرس، المرجع السابق، ج2، ص100 - 101.

تلقى الأوروبيون عقائدهم عن الأسبوع وأرباب الأيام وسلطانها على الأحياء أو على الأحداث والزروع والضروع، ولا تزال أسماء الأيام الأفرنجية تحمل طابع العقائد السماوية كما كان يعتقدها أسلاف العرب المغرقون فى القدم، وتتداولها لغات الغربيين إلى هذه الساعة التى نحن فيها»[1].

ويؤكد العقاد على أن الفلسفة الغربية ذاتها ترجع فى أول نشأتها إلى جذور شرقية فيقول: «وقد كانت المدرسة الكبرى المعنية آداب الحياة والسلوك، بين مدارس الفلسفة التى اشتهرت باسم «الفلسفة الإغريقية» هى مدرسة شرقية فى أصول أساتذتها، وأصول مبادئها، وأصول تفكيرها، التى انفردت بها بين أصول التفكير الغالبة على العقول حكماء الإغريق الأصلاء. ونعنى بتلك المدرسة الشرقية الرواقيين.

فقد كان رأس هذه المدرسة «زينون» عن أصل كنعانى أو فينيقى كما كان الإغريق يسمون بعض الكنعانيين، وكان مولده على الشاطئ الشرقى من جزيرة قبرص فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد.

وكان من أقطاب هذه المدرسة من ولد فى صيدا، ومن ولد على ضفاف نهر العاص أو نهر دجلة، وكان لها شأن جليل فى الثقافة الإغريقية ثم فى الثقافة الرومانية ثم فى المدرسة الأفلاطونية التى نشأت بالأسكندرية»[2].

ومع كامل احترامى لثقافة وقيمة العقاد، إلا أن التأُير الشرقى يرجع إلى ما قبل الرواقيين بسبعة قرون على الأقل، فمعظم أقوال الحكماء السبعة الذين

(1) عباس العقاد، أثرت العرب فى الحضارة الأوروبية، نهضة مصر، القاهرة، ط4، سنة 2008م، ص411.

(2) المرجع السابق، ص14.

اشـتهرت بهم اليونان أخذوا حكمتهم عـن الحكمة الشرقية خاصة المصرية والهندية كما أن أفلاطون ذاته وهو سـابق على الرواقيين بزمن غير قليل قد زار مصر وأُعجب بأهراماتها وتعلم الحساب والفلك من المصريين القدماء، بـل إن دعوة أنطيفون السوفسـطائى إلى الوحدة العالمية هـى فى أصلها دعوة شرقيـة جاءت على لسـان الملـك المصرى «اختانـون»، وغير تلـك الأفكار الفلسفية الكثير التى ترجع فى جذورها إلى الشرق.

ولكن فى ملمح آخر يلفت العقاد النظر إلى تغلغل الأثر الشرقى فى الحضارة الغربية ليصل إلى حدّ اللغة فيقول: «فيوم الأحد يُعرف فى الانجليزية باسـم Sunday أى يوم الشمس، ويوم الإثنين يُعرف باسم Monday أو يوم القمر، ويـوم الثلاثـاء يُعرف باسـم Tuesday أو يـوم «ثيوز» إله الحـرب عند أمم الشمال الأولى، وتوضحه التسمية الفرنسية لهذا اليوم لأن يوم الثلاثاء يُعرف فيها باسم Mardi أو يوم مارس وهو المريخ.

ويـوم الأربعاء يُعـرف فى الإنجليزية باسـم wenesday أو يوم «ودين» إله المعارف والفنون عند قدماء النيوتون، وتوضحه التسـمية الفرنسية أيضاً لأن يوم الأربعاء يُعرف فيها باسـم Mercredi أى يوم عطارد وهو بالفرنسية mercure وبالإنجليزية mercury.

ويوم الخميس يُعرف فى الانجليزية باسـم Thursday أو يوم «ثور» إله الرعد عند قدماء التيوتون، ويوم الجمعة يُعرف فى الانجليزية باسم Friday أو يـوم الربـة فريـج Frig زوجة عطـارد ومقابلة الزهـرة فى صفاته، ويوم السـبت يُعرف فى الإنجليزية باسـم Saturday أو يوم زحل فى تلك اللغة إلى اليوم.

ويتبين من معانى أيام الأسبوع عندهم أن عقائد التنجيم التى أخذوها عن السلالات العربية قد تغلغلت فى شعوبهم الأوروبية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وهى العقائد التى ترتبط بالمعيشة اليومية وطوالع الأوقات وسلطان الأفلاك العليا على الأحياء وحوادث الأيام»[1].

يمكننا القول إذن بأن الحضارة الغربية قامت فى أصولها على الحضارة الشرقية، نعم، قد طالتها أيديهم بالتنقية والتطوير كما يقول النشار، ولكنهم ليسوا هم أبداً صانعوها من عدم، بل إن البشرية بأسرها لتدين بالفضل للحضارة الشرقية، لا على الناحية المدنية فحسب ولكن للناحية الأخلاقية والتسامح الذى غذا حضارة الشرق واتسع أثره ليطول العالم كله.

2- **الوهم الغربى الكبير:**

يُصدر الغرب للعالم مشهداً كاذباً من ألفه إلى يائه، حيث يزينوا للعالم أنهم هم أصل الحضارة، وأن فضلهم على العالم كفضل الشمس على سائر النجوم، وهو محض كذب وافتراء قدمنا عليه الدلائل فيما سبق ووجه إليه النشار النقد أكثر من مرة، حيث أنهم ليسوا سادة بحق، بل هم متسلطون على البشرية، يقول النشار: «وشيئاً فشيئاً، وكما فعل أجدادهم، طمسوا الحقيقة الناصعة - حقيقة العصور الإسلامية الرائدة المبدعة - وجعلوها باهتة قاتمة، ومرة أخرى صوروا لأنفسهم وللعالم أنهم صانعوا مجد الإنسان الحديث وحدهم وإنهم من بين بنى البشر من يملكون قدر البشرية كلها، فلابد أن

(1) عباس العقاد، المرجع السابق، ص12.

ينصاع العالم لهم، وأن تسلمهم البشرية قيادها، إنهم لا يزالون السادة وما عداهم من التابعين، إنهم يملكون وحدهم الفكر والإبداع، وغيرهم يستورد ما يصدرونه له من نفايات المدنية وتافه الثقافة وأحط الأخلاق حتى يتشكل الجميع بنموذج غربى زائف»[1].

مغالطة أخرى كبرى ووهم لا حدّ له يحاول الغرب تسويقه عبر أجهزته الإعلامية المنتشرة عالمياً، حيث يصور نفسه الحمل الوديع والمحسن الأمين الذى يمد يد العون إلى الفقراء والمعوزين، وما أبشع تلك الكذبة، التى يفندها النشار بقوله: «.. الملاحظة الأولى تبدو فى هذا الأسى والألم الذى نشعر به جميعاً حينما نشاهد مناظر أولئك الأفارقة الجوعى سواءاً كانواً عرباً أم لم يكونوا، وأجسادهم يبدو منها العظم وهناً وضعفاً دلالة على الفقر المدقع وعدم وجود القوت الضرورى لهؤلاء، وكم نصيح عندئذ قائلين، ألا يستحق هؤلاء العون حتى نحميهم من هذا الجوع وهذا العطش.. وكم ننبهر بهذا الإنسان الغربى الرقيق الذى أتى بمؤسساته الدولية والصليب الأحمر ووكالات الغوث الأخرى، فيشملهم برعايته ويكسب ودهم بمعوناته!».

إنها حقيقة مغالطة كبرى حينما نظل على هذه المشاعر المتضاربة إزاء كل ذلك، فالحقيقة أن وراء كل هذه المظاهر المتناقضة التى نراها فى أدغال الصومال وموزمبيق والسودان وأنجولا وغيرها، ورائها الإنسان الغربى ذاته، فهو الذى استعمر هذه البلاد ونهب ثرواتها وعمد إلى تفتيت وحدتها وإزكاء الصراعات بين قبائلها وزعمائها، ولم يتركها إلا بعد أن ربط

(1) د. مصطفى النشار، ضد العولمة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ن ط2، سنة 2001م، ص57.

اقتصادها باقتصاده ولم يزرع فيها أبداً أى إمكانية للتنمية الذاتية المستقلة أو أى إمكانية للنهوض الذاتى حيث بؤر الصراع المشتعلة دائماً وتضارب المصالح بين الناس على أشدهما دائماً، ورغم الفقر والعوز، يسعى كل فصيل للسيادة والسيطرة لعله يجد ما يُسد به رمقه ويطفئ به شهوته ويحقق به كرامة زائفة أو سيادة خرقاء لا قيمة لها .. إن أسوأ ما فى الأمر هنا هو أن نرى أن المساعدة تأتى ممن كان السبب فى كل ما تعانيه هذه الشعوب من فقر مدقع وصراعات لا تنتهى، فليس إنساناً من حرم غيره سُبُل العيش المستقل والتنمية الذاتية وحسن استغلال موارده، ثم قدم إليه مساعدات ومنح هى فى واقع الأمر تكئة للأخذ والمزيد من الاستعباد»[1].

فالغرب هو الذى صنع تلك المآسى الإنسانية بالشرق، ثم هو يبدو أمام العالم وكأنه الطبيب طيب القلب الذى جاء لمعالجة المريض باسم الإحسان والإنسانية فى حين أنه أول من قتل الإحسان وبدّل مبادئ الإنسانية.

أضف إلى ذلك أن هذه الإنسانية ليست سوى تكئة للمزيد من الاستعباد فيما يقول النشار، ثم إن تكلفة هذه الإنسانية المصطنعة هى فى الأصل من جيوب هؤلاء المعوزين وعلى نفقتهم الخاصة وعلى حساب استعبادهم، ويدلل النشار على ذلك بما قاله جوزيه دى كاسترو من أن كل دولار تقدمه الولايات المتحدة إلى أمريكا اللاتينية يقابله ثلاثة دولارات تعود إلى الولايات المتحدة، وكذا ما قاله رجل الدولة الأمريكى «هرمان» من أن المعونة المقدمة إلى البلدان المتخلفة وسيلة ممتازة تتيح للبلدان الفقيرة مساعدة البلدان الغنية[2].

(1) د. مصطفى النشار، وهم التنمية على الطريقة الغربية، مقال منشور بجريدة الأهرام، المصرية، الأحد 17 نوفمبر 2012م.

(2) د. مصطفى النشار، الأورجانون العربى للمستقبل، ص147.

كما يوجه جارودى النقد اللاذع لتلك الإنسانية الغربية الوهمية مؤكداً على ثلاثة محاور رئيسة، الأول أنه قد تم تطور المجتمعات الإقتصادية الغربية باقتطاع الموارد العالمية، والثانى أن المجتمعات الغربية الصناعية عندما أذاعت أنموذجها حرمت بلدان العالم الثالث من النمو الجاد والأصيل وأدخلت عليه ثقافة ليست منه وليس منها، والثالث أن نمط التطور الذى تمارسه المجتمعات الغربية الصناعية يقود البشرية إلى درب مسدود[1].

ولعل هذه الإنسانية الغربية هى أحد دلائل انتحار الحضارة الغربية، فالحضارة التى تقوم على الكذب والتزييف والخداع لن تعمر طويلاً، وتلك سنة الله التى أجراها على لسان التاريخ لمن يقرأ أو يعتبر ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف: 111].

3- عنصرية الغرب:

ليس بدعاً أن تكون هذه الحضارة الكاذب أهلها قامت على العنصرية، تلك العنصرية التى يُرجع النشار تاريخها إلى ما قبل الميلاد فى واقعة متفردة الفهم، حيث يذكر احدى خطابات الإسكندر لآرسطو والتى ذكرها بلوتارخ حيث يقول لآرسطو: «إنك لم تحسن صنعاً بنشرك كتبك فى نظريات الخطابة، إذ ما الذى بقى لنا مما نمتاز به على الآخرين إذا أُبيحت تلك الأشياء التى تخصصنا فى معرفتها للجميع؟ إنى أؤكد لك أنى من ناحيتى أوثر أن أمتاز على الآخرين بمعرفة ما هو ممتاز على كل اتساع فى قوتى وامتداد لسطانى».

وعلق النشار على هذا النص بفهم مختلف عما فهمنا من قبل من أن

(1) روجيه جارودى، حوار الحضارات، ص91.

الإسكندر أراد توحيد الحضارات وتزوج بالشرقيات هو وجنوده لإثبات الوحدة الإنسانية ولكن حتى هذا الصنيع كان زائفاً ذا أغراض خبيثة، يقول النشار: «ولعلنا قد أدركنا من هذه الكلمات المباشرة للإسكندر أنه لم يكن يستهدف كما هو شائع نشر الفكر اليونانى فى الشرق بقدر ما استهدف التعرف على «هؤلاء البرابرة» وضمهم إلى دولته، وليقضى على ما بقى فى حوزتهم من تميز فكرى، ولا ضير فى أن يتشكل أحياناً تشكلاً زائفاً فيرتدى ملابسهم أحياناً، و يتقرب إلى آلهتهم أحياناً أخرى، ولا ضير فى أن يتزوج منهم و يوحى إلى قواده بأن يتزوجوا منهم أيضاً! لقد كان كل ذلك وسيلة لغاية أبعد هى تأكيد سيادة الجنس اليونانى فكراً وعقيدة»[1].

فلا خير إذن أن نرى استمرار تلك العنصرية حتى اليوم، فهى ليست بدعاً من الزمن، بل هى صنيعة الزمن القديم، وما يفعله الأحفاد اليوم من معاداة للعالم بأسره ظناً منهم ووهمًا بأنهم هكذا يحافظون على زعامتهم، دون أن يفطنوا إلى أنهم بسوء صنيعهم هذا إنما يقتلون أنفسهم بأيديهم، يقول النشار: «لقد أصبحنا فى عصر القطب الأوحد بعد انهيار الإتحاد السوفيتى السابق وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم، وكم تغنى قادة هذه البلاد الغنية بما تعيشه من حريات ومن حفاظ على حقوق الإنسان! وكم كان حلماً جميلاً لكل إنسان على ظهر هذا العالم وخاصة فى بلاده النامية أو المتخلفة أن يذهب إلى الولايات المتحدة رمز الثراء والحرية واحترام الحقوق! لكن كل ذلك انهار فجأة بفعل التجبر الذى أظهرته الولايات المتحدة مؤخراً تجاه الآخرين تحت حجج مختلقة ومختلفة، فمرة يهاجمون الصين بحجة عدم

(1) د. مصطفى النشار، ضد العولمة ص54 - 55.

حرصها على حريات مواطنيها، ومرة يهاجمون الدول الإشتراكية السابقة بنفس الحجة كما يهاجمون معظم دول العالم الأخرى بذات الطريقة وتحت نفس الدعاوى!

والحقيقة أن هذا القناع قد انكشف بعدما فضحت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فى ظل غزوها العسكرى لأفغانستان، ثم العراق بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر الشهيرة»[1].

ولا تزال العنصرية الغربية تمارس ضد عالمنا العربى والإسلامى أو ما أسموه هم بالعالم الثالث، حيث اتخذوا من الإسلام عدواً فى حين بسط الإسلام لهم يد السلام والأمن على مر العصور، وما هذا العداء إلا لأنهم يتصورون أنهم لا يمكنهم العيش بدون عداوات مع الأخرين، فإن كان العداء فعلاً له أسبابه، و إلا صنعوا هم تلك الأسباب، وتلك هى أبشع صور العنصرية على مر التاريخ.

ثانياً: أثر الإسلام على أوروبا

لعل الذين أجادوا فهم الإسلام، فهم مقاصده وغاياته، فهموا أنه دين العلم والعمل، لا انفصال فيه بين النظرية والتطبيق، وما أكثر ما تأثر الغرب بمبادئ الإسلام التى تحث على العمل، أى أنه أخذ الجانب المادى لا الروحى، لذا فهو يقيم دولة العمل، لكنه لا يقيم دولة العدالة، و إن أقامها على أرضه فلن تطال غيره!!هذاما ينبغى أن نفهمه جيداً.

(1) د. مصطفى النشار، حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى والواقع العملى، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة.

لقد ألهم الإسلام الغرب كل قيم الحضارة، يقول الإمام محمد عبده متسائلاً ما نصه: «ماذا حمل الإسلام إلى أوروبا، وها هى ذى المدنية التى زحف عليهم بها فردوها؟ زحف عليهم بما استفاد من صنائع الفرس وسكان أسيا من الأريين، زحف عليهم بعلوم أهل فارس والمصريين والرومانيين واليونانيين، نظف جميع ذلك ونفاه من الأدران والأوساخ التى تراكمت عليه بأيدى الرؤساء فى سائر الأمم الغربية لذلك التاريخ وذهب به أبلجاً ناصعاً يبُهر أعين هؤلاء الغافلين المتسكعين الذين كانوا فى ظلمات الجهالة لا يدرون أين يذهبون، إن أول شرارة ألهبت نفوس الغربيين فطارت بها إلى المدنية الحاضرة كانت من تلك الشعلة الموقدة التى كان يسطع ضوؤها من بلاد الأندلس على ما جاورها، وعمل رجال الدين المسيحى على إطفائها عدة قرون فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، واليوم يرعى أهل أوروبا ما نبت فى أرضهم بعدما سقيت بدماء أسلافهم المسفوكة بأيدى أهل دينهم فى سبيل مطاردة العلم والحرية وطوالع المدنية الحاضرة»[1].

يد الإسلام إذن امتدت بالإحسان وبالحضارة وبالعلوم الكونية والعلمية والإنسانية، بداية من تعليم الفلسفة والفكر ومروراً بتعليم الفلك والحساب، وانتهاءاً بقيم التسامح التى طالما يُعلمها الشرق للغرب فيما يقول السيد أبو الفيض المنوفى: «نعم إن الغرب ما زال فى حاجة إلى الشرق وكان الشرق دائماً مبعث النور والهدى والدين والإيمان واليقين للغرب، وذلك بشهادة كبار علماء الغرب ومصلحيه، وما نظن إلا أن الشرق سيؤدى هذه الرسالة مرة

(1) الإمام محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، دراسة د. عاطف العراقى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 2009م، ص90.

أخرى فعليه أن ينشر رسالته بين العالم أجمع، وأن يجاهد فى سبيل ذلك كما جاهد مراراً خلال تاريخه الطويل العريض سيما وأن العالم اليوم يقف فى مفترق الطرق بين المادية والروحية وبين الإيمان والشك وبين متين الخلق والإستهتار، وبين القيم الأدبية وبريق الثروة المادية حتى كاد الباطل أن يتحيف الحق وهذا لن يكون، وقد نسى الناس أن الحق فى كل زمان ومكان يدفع الباطل ويزهقه وأن الباطل كان زهوقاً، ونسوا أن الله أوجد الحق وأوجد القوة لتؤيده وقد جعل أبناء العصر فى الغرب الأمر بالعكس أى جعلوا الحق للقوة»[1].

ولم يكن جهاد الشرق بالسيف والعصا، وإنما كان بالإحسان والعفو والصفح، ومن يرد الإستزادة من أخلاق الشرق فليرجع إلى ما كتبه مونتجمرى وات، ذالكم المؤرخ الغربى المسيحى فى كتابه «الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر»، وما كتبه روجيه جارودى فى «حوار الحضارات»، وفى «عوامل نهضة المسلمين» وما كتبه زيجريد هونكه «هذا هو الله» وما كتبه غيرهم من عدول المؤرخين والمستشرقين الذين لم يعرفوا المجاملات قط فى أحاديثهم ولم ترد لهم ببال.

إجمالاً، لقد ترك الشرق بعقيدته وبمبادئه أياد بيضاء على الغرب، أيادٍ تعلوها السماحة والشهامة ومستوى نبيل من الخلق، يقول السيد المنوفى ما نصه: «ولا غرابة ولا عجب فى أن يُخلص بعض رجال الشرق الحب والهداية لأخيه الغرب، فيبادله عطفاً بكبريائه، ورحمة بقسوته، وإحساناً بإساعته،

(1) السيد أبو الفيض المنوفى، نقد الحضارة المعاصرة، دار نهضة مصر، القاهرة، سنة 1981م، ص61.

ونوراً بظلامه، وعدلاً بظلمه، وتعاوناً و إخاءاً بتنازعه وأنانيته، وأخيراً يبادله روحية مستنيرة بماديته، ولا يعجبن أهل الغرب من قيام شرقى بإذاعة مثل هذا النور والحق، فتلك سنة الشرق دائماً تسير مع التاريخ الذى يعيد نفسه بنفسه، وأدوار الإنتقال العظمى جنباً إلى جنب»[1].

ثالثاً: نقد الحضارة الغربية

يبقى التساؤل الآن، هل لحضارة قامت على المادة البحتة والكذب والخداع والكيل بمائة ألف مكيال أدنى نصيب من الديمومة؟ وكيف للمادة وحدها أن تُعمر الكون أو تستقل عن الروح؟

ولعل هذا كان من أكبر مثالب الحضارة الغربية التى حوّلت الإنسان إلى آلة، وجود محض وفعل محض، إلى أن ضاعت قيم الإنسانية فى ركام المادة فيما يقول قرنى: «هكذا تتحول الآلة ضد الإنسان، و يتجه الإنسان الغربى إلى أن يكون هو نفسه كالآلة، وهكذا أيضاً تتجه الحضارة الغربية ضد ذاتها، لتضرب أحد مبادئها الأساسية المتضمنة فى قيمة «الفرد» ألا وهى كرامة الإنسان، وربما كان أعظم القطاعات إحساساً بإهدار الكرامة هم العمال فى المصانع الكبرى التى تستخدم ما يسمى «بأحدث أدوات الإنتاج»، فأول وأهم ما يشكو منه العامل الغربى هو أن العمل قد تفتت إلى درجة لا يمكن تصورها، بحيث أن العامل أصبح يقوم فى تلك المصانع بنفس الحركة الواحدة طوال يوم عمله، فإذا كان مثلاً فى أحد مصانع إنتاج السيارات فإن له عملاً محدداً لا يتعداه، وليكن مثلاً الدفع بمسمار فى فتحة ما ليقوم زميله

(1)) المرجع نفسه، ص80 - 81.

التـالى بالدق عليـه وهكذا، حتى تخرج السـيارات واحـدة بعد الأخرى فى نهاية المطاف، وقد مرت على مئات العمال كل منهم يقوم بعمل واحد وواحد فقط طوال اليوم، ومن هنا ظهرت كثرة الشـكوى من الانهيار العصبى ومن الكآبة وغير ذلك، حتى أن العامل لا يخرج من عمله إلا ليرتاح منه وليسـتعد لـه فى يومه التالى، وهكذا تتلخص حيـاة العامل كما عبّر عنها بعض الطلاب فى أحداث 1968م الشـهيرة فى فرنسـا «العمل فالمترو فالنوم»[1]. فى مثل هذه الأنظمة المادية البحتة تتراكم الأمراض النفسـية وتنمو المشكلات العصبية التـى لا حدّ لها، أضف إلى ذلك أن سـنة الخالق سـبحانه قد جرت بأن النظم الاقتصادية البحتة إذا سـادت فى نظام جماعة من الجماعات قد ترقى بمستوى تلـك الجماعـة مادياً فتشـغلهم لاسـيما إذا بالغـوا فى مظاهر المتعـة والترف فيصرفهم ذلك عن رفع المسـتوى العقلى والأدبى فى تلك الجماعة خصوصاً إذا دب بينهم البُغض والتنازع ووسـائل الغدر والوحشـة التى هى حتماً صنيعة هذه المادة الجوفاء[2].

وفضلاً عـن تلك الماديـة البحتة فإن الحضـارة الغربيـة معرّضة للإنهيار بسـبب إزدواجية معاييرهـا وكيلها بمكاييل مختلفة وهو مـا يحذر منه توينى بقولـه: «إن الحضارة الأوروبية تحمـل فى طياتها التناقض بين الفكر والعمل، بين أفكار المسـاواة والإخاء والحرية التى ورثتها من الثورة الفرنسـية وبين التفرقة العنصرية التى تمارسها الآن بالفعل والتى تشكل خطراً عليها بزيادة وعى الشعوب الملونة، هذا بينما طابع الحضارة الإسلامية الإتساق بين الفكر

(1) د. عزت قرنى، المرجع السابق، ص140 - 141.
(2) السيد أبو الفيض المنوفى، نقد الحضارة المعاصرة، ص22.

والعمل بصدد المساواة إذا ارتفعت فى أزهى عصورها أن يصل إلى مراكز السلطة فيها الرقيق والعبيد»[1].

هذه الحقائق أدركها فلاسفة ومؤرخى الغرب الراشدين، ومنهم من قام بمواقف مؤيدة للحق والعدل ضد بلده مثل الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر الذى عارض الإحتلال الفرنسى للجزائر، ومثل فلاسفة السلام الغربيين وعلى رأسهم كانط ورسل وروسو، ثم أخيراً آرنست رينان وروجيه جارودى، فقد فطن هؤلاء جميعاً إلى سوء المصير المنتظر للحضارة الغربية المقدمة بلا أدنى شك نحو الإنهيار، يقول المؤرخ الفرنسى فلامريون ناصحاً بنى قومه: «لا يجوز لنا معاشر الأوروبيين أن نخجل من الاعتراض بما وقعنا فيه من الإنحطاط لأننا رضينا به وأصبحت عقولنا المشبعة بالأثرة لا همّ لها سوى أغراضها الذاتية، أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها والحصول على المجد الزائف من طريق المخاتلة والإغتيال لا الكسب الطبيعى، وبذلك وقعنا فى الجمهود وعدم الإهتمام بالواجبات الإنسانية، ألا ترى أن الرقى الباهر الذى حصل فى العلوم مما لا مثيل له فى التاريخ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التى تمت للإنسان فى الطبيعة بينما رفع عقولنا فإنه هبط بإنسانيتنا إلى أحط الدرجات، ومن المحزن أن نحس بأنه بينما تشتعل بناء قوتنا يوماً بعد يوم وتنطفئ حرارة قلوبنا وتتصوح زهرة حياتنا الحقيقية بتأثير غلبة المطامع المادية والشهوات الجسدية»[2].

(1) Toynbee: Civilizatian on trial, clarendon press, 1983,p.205.

(2) نقلًا عن السيد أبو الفيض المنوفى، المرجع السابق، ص21.

ثمة ناحية نقدية أخرى يوجهها جارودى إلى الحضارة الغربية إذ يقول: " إن عالمنا الغربى ليس فقط ملحداً، ولكنه يؤمن بتعدد الآلهة، فكل فرد وكل جماعة تضع لها إلهاً حسب رغبتها، معتبرة المال والسلطة والتقنية والجنس والأمة والأيديولوجية والإزدياد غاية فى حد ذاتها وقيمة مطلقة و إلهاً مزيفاً كاسراً متعصباً وملتهماً لكل من يخدمه ومتعالياً بلا رحمة على كل قيمة، وعلى كل إنسان آخر يتعارض مع انتشاره وتمدد سلطانه.

وفى عصرنا هذا حيث المال هو طريق الوصول إلى كل الرغبات وكل السلطات منذ بداية عصر الرأسمالية، فإن كثيراً من المفكرين بعيدى النظر أمثال «توماس هوبز» رأوا أن هذه الرغبة وتلك المنافسات ستؤدى بالمجتمع إلى «حرب الكل ضد الكل» سواءاً فى شكل منافسات تجارية أو صناعية يدمر فيها الأقوياء الضعفاء أو يمتصونهم، و إما فى شكل مواجهات طائفية هدفها حصر المجتمع، حيث يهدف كل منها إلى السيطرة ونصرة مصالحه الطائفية عن طريق وسائل القوة المتاحة له حتى ولو كان ذلك ضد المصلحة المشتركة، ومحصلة هذه المصالح وهذا العنف المتبادل شيء لم تره عين قبل ذلك، وهو شيء يقود إلى انحرافات انتحارية لازدياد أعمى، حيث تذهب أكبر الاستثمارات لأكثر المشاريع، ربما وهى التسليح والطاقة الذرية والفضاء مثلاً، وأن يكون القانون الملازم بلا غاية إنسانية فى خدمة تدمير الإنسان وليس فى خدمة سعادته»[1].

إذن الحضارة الغربية تسير الآن فى طريق الانهيار، ليس انهياراً على

(1) روجيه جارودى، الإسلام، ترجمة د. كمال جاد الله، دار الجليل للنشر، القاهرة، 1997م، ص37-38.

أيدى الأعداء أو المنافسين، ولكن انهياراً داخل البنيان ذاته، انهيار يصدق عليه لقب الانتحار، لأنها ما فتئت تغذى الجسد، وما برحت حدود المادية قيد أنملة، فكانت تلك الحضارة باحثة عن التقنية لأجل التنقية فيما يقول جارودى، لا لأجل غاية أخرى: «المفهوم الغربى للعلم والذى لن يلبى الإ حاجات الغرب، ولن يهتدى بالوحى لحل مشاكلنا قاد الغرب إلى علم من أجل العلم، وتقنية من أجل التقنية، أى دونما غاية إنسانية أو إلهية، ووصل به إلى الإنحدار الأخلاقى والسياسى»[1].

أما بتوصيف عزت قرنى فإن الحضارة الأوروبية تعيش أزمة، ستُفض بها إلى النهاية على عجل: «لا زلنا نقول «الحضارة الغربية» اليوم وغداً، فى مرحلة أزمة، وهذه الأزمة ستؤدى بها حتماً إلى مصيرها الضرورى، وهذا المصير الضرورى هو الإنهيار»[2].

من كل هذه الشواهد يمكننا التيقن من القول بأن الحضارة الغربية بركوبها مركب المادة المجردة وتخليها عن كل مقومات الروح تسير حقاً فى طريق اللاعودة.... طريق النهاية الحتمية، التى من أهم أسبابها:

- تحكم الآلة فى حرية الإنسان حتى صار عبداً لها.
- انتشار البطالة وازدياد عدد العاطلين نتيجة للثورة الصناعية الكبرى.
- انحلال معانى الأسرة وانهيار الروابط الاجتماعية.

(1) المرجع السابق، ص50.
(2) د. عزت قرنى، المرجع السابق، ص68.

- كثرة الترف والرفاهية اللامبررة واللأخلاقية.
- سيادة الشك وتقلص الإيمان فى قلوب الشعوب تحت تأثير المدنية الحديثة...

تلك هى أبرز عيوب وأخطار الحضارة الغربية، تُرى هل من سبيل إلى تخليصها من مرض الموت ذاك؟

ليس ثمة من سبيل إلا أن يعود الإنسان إلى داخل نفسه بنفسه فيراجعها الحساب، فيوازن بين ما كسب من توافه الحياة وما خسر من ذات نفسه وبذا يزيل أتربة المادية المتراكمة على ضميره، ذلك الضمير الذى لا يزال حياً، ولكنه حبيس تلك الحُجب، وأن يمتد الإنسان ببصره وبصيرته إلى مُثُله العليا وإلى القيم الحقيقية فى الحياة مثل الحق والخير والعدل.

إنها المعادلة الصعبة التى لن يقبل بها الغرب، ولن يقبل الشرق ببديلها، خاصة بعد إزدياد الوعى وارتقاء التعليم فى الشرق نوعاً ما، وتطلع أجيال الشباب إلى صناعة نهضة حقيقية وتجدد النداء بالقومية العربية عند شباب المفكرين الذين هم الأمل، كل الأمل.... فى تغيير واقع بغيض واستشراف سبل مستقبل يصنعونه هم بإرادتهم ويحركون أحداثه هم بضمائرهم ويجنون ثماره بأيديهم، لقد أن الأوان لإعادة المعادلة والتوازن بين الشرق والغرب فى خطوات ثلاث:

1- التخلص التام من أى تبعية للغرب.

2- التأكد من أطماع الغرب فى الشرق.

3- مد يد التعاون وبناء جسور من المودة بين أبناء أمتنا العربية.

بهذه الشروط وحدها يولد الأمل فى إعادة صياغة ذاك الواقع المؤلم بين الشرق والغـرب، ليصبح لنا السـيادة والريادة، بل ونتطلع إلى قيـادة هذا العالم بعوامل نهضتنـا التى هى حتماً قادمة بحكم جدلية التاريخ وواقعية الأحداث وأقدمية الفطرة، ولكنها ستكون قيادة عدل ورحمة ومودة للجميع قيادة تبسط يد السلام والأمن للجميع، وتقبض يد الشر والسؤ عن الجميع، تلكم هى الأخلاق العربية عبر التاريخ، ولن يغير الغرب بقسوته وظلمه للشرق عدالته ورحمته.

آن الأوان يا سادة لأن نعرف الفرق الكبير بين ما يبديه الغرب وما يخفيه، فقد يبكى الغرب لمصائبنا بكاء الأسباط، يظهر التعاطف فيما تسبب فيه من آلام وجـراح نعانى نحن وأبنائنا ويلاتها، وفى حين يبكى هو فى العلن، يرقص ويغنى فى السر، ولسان حاله يقول: «انتصر كيدنا على هؤلاء البلهاء».

ولكننا نعدهم بأن عصر البلادة قد ولى، عصر السمع والطاعة والإنصياع لهم قـد انتهى إلى الأبد، ليبدأ عصر بزوغ الشـمس العربيـة، عصر النهضة الحقيقية التى ترتكز على العلم والعمل فيما يقول النشار: «وإذا نظرنا حولنا لـنرى كيف يصنع الرواد والمتقدمون فى هذا العصر ريادتهم وتقدمهم، فلن نجـد لديهم إلا أمرين لا ثالث لهما، علم وعمـل، تفوق علمى مطرد يدفعهم باستمرار إلى مزيد من تهيئة ظروف الإبداع العلمى وتحويله إلى تكنولوجيا تحل مشـكلات الواقع وتواجهها بكل حسـم، ومن ثمّ تتحسّن حياة الإنسان العربى عاماً بعد عام وقرناً بعد قرن»[1].

ويتعجل النشـار تلك اللحظة التى يفيق فيها الأسـد العربى من غفوته فينهض

(1) د. مصطفى النشار، ضرورة التفكير فى المستقبل، مقال منشور بجريدة الأهرام، الأحد 6/ 12/ 2012م.

على إثر انهيار الغرب موجهاً النداء إلى أمته العربية مذكراً ومؤنباً ومسنهضاً بقوله: «إن العـرب فى لحظة تاريخية فارقة حيث صور الضعـف التى يعانون منها كثيرة، وتجرى الآن محاولة فرض كل ما يراه الغرب صحيحاً عليهم دون مراعاة لاختلاف البـشر والبيئة والعقيدة والتاريخ، فإن لم ينتبهوا إلى أن خصوصيتهم تفرض عليهم سرعـة اختيار التوجـه الذى يتوافق معهم بيئة وعقيـدة وتاريخاً دون الالتفات إلى هـذه المطرقة ثقيلة الوطأة عليهم، تلـك المطرقة التى تحاول فرض كل ما هو غربى على كل ما هو عربى، وقولبة كل ما هو عربى تبعاً للأطر الغربية من شأنه أن يُفقد العرب تميزهم التاريخى والثقافى والعقائدى ويجعلهم مسخاً لا رحمة فيها»[1].

فهل يقبل الشباب العربى أن نكون مسخاً لا قيمة لنا؟

أمـا آن الأوان كى ننتفـض انتفاضـة الصحـوة العلمية العربيـة التى تأتى بمشتملات النهضة كلها، نهضة على جميع الأصعدة، ألا يمكننا استعادة ماضينا فى بناء مسـتقبلنا، ألا يمكننا الارتكاز إلى المـاضى القريب، فضلاً عن الماضى السحيق لإعادة صناعة نهضة عربية تصفع الغرب على وجهه مثلما وجه هو إلينا صفعات.... ونركله بالأقدام مثلما ركلنا هو بقدميه، فعلاً بفعل، وصفعاً بصفع، وسناً بسن، والبادى أظلم.

ربما تحار الأسئلة عند البعض، ما أطيب الكلام، وما أعذب الأمنية، لكن ألا يمكننـا صناعة النهضـة بالارتكاز إلى الغرب والتبعية لـه مثلما هو الحال الآن، ثم من الذى سيحقق النهضة وكيف؟

وهذه أسـئلة أتت مـن كنترول الغرب ذاتـه ليثبط بها العزائـم، فدعونا نجيب أولاً عن سؤال هو الأهم، لماذا النهضة العربية؟

(1)) نفس المقال.